

السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
خلق الناس من أشجار شتى، وُخِّلقت أنا وعلى بن أبى
طالب من شجرة واحدة، أنا أصلها، وفاطمة فرعها، وعلى
لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وشيعتنا أوراقها، فمن تَعَلَّقَ
بغصن من أغصانها ساقه إلى الجنة، ومن تركها هوى إلى النار،

نفيسة الدارين..

نفيسة العلم..

نفيسة الطاهرة..

نفيسة العابدة..

نفيسة المصريين..

وسيدة أهل الفتوة والتصريف، والسيدة الشريفة العلوية،
وصاحبة الكرامات الطاهرة الوفيرة، والمناقب الفاخرة وأم العواجز،
والسيدة المرضية، ومشبعة المحروم، وهى السيدة النقية، العفيفة،
الزاهدة، الساجدة، الراكعة، المحدثّة، المتبحرة، المتضلعة،
الكثيرة النفعات، الغزيرة البركات، والبضعة المنيفة الناضرة،
والزهرة الزاهرة سليلة النبوة، وفرع الرسالة، وجناح الرحمة، كريمة

العنصر والمنيت من آل بيت من اصطفاه الله، رسول الله محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم، أولئك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

هذه ألقاب السيدة نفيسة رضى الله عنها..

١ - فهي نفيسة الدارين : لعوارفها وصنائعها وشفاعتها يوم القيامة لقاصديها، وبجناح الرحمة : لتواضعها وخضوعها لبارئها، وشفقتها ورحمتها وبرها وصلتها لذويها ومعتفيها وقاصديها ويستظل زائرها بجناح رحمتها.

٢ - وهي نفيسة العلم، لما استنبطته من دخائل العلم، واستجلته من غوامضه، وما نثرته على طالبي الاستفادة منها، فكان يرجع إليها في المشكلات، ويستصح بضوئها في المعضلات، وتشد إليها الرحال من أطراف البلاد في طلب ما حذفته وأحكمته من علوم بيت النبوة، ويكفى أن نذكر هنا أنها تعلمت القراءة والكتابة قبل أن تبلغ السابعة من عمرها، وهي بلا شك علامة كبيرة مميزة تنبئ بما ينتظرها في مستقبلها، وقد ساعدها ذلك على أن تحفظ القرآن الكريم وتحجده في سن مبكرة.

٣ - وهي نفيسة الطاهرة : لطهارتها وتعبدها، وهي السيدة العظيمة العابدة النقية الطاهرة.

٤ - وهي نفيسة العابدة : لعبادتها وتقواها، فإنها كانت من

السائحات العابدات الصالحات القانتات، تصوم نهارها وتقوم ليلها، وقد حَجَّت ثلاثين حجة أكثرها وهى ماشية، وكانت تتعلق بأستار الكعبة وتقول: «إلهى وسيدى ومولاى، متعنى وفرحنى برضاك عنى، فلا تسبب لى سبباً يحجبك عنى».

٥ - وهى نفيسة المصريين: لحب أهل مصر لها، ويكفى أن أقول فى أول هذا البحث، كما سيأتى بعد ذلك تفصيلاً، أنها لما عازمت على الرحيل من مصر إلى بلاد الحجاز، شقَّ ذلك على أهل مصر وسألوها فى الإقامة لحبهم لها، كما أجمع أهل السير والتاريخ على وفاة السيدة نفيسة بالقاهرة، كما أجمعوا على أنها لما توفيت وصل زوجها فى ذلك اليوم وأراد حملها إلى المدينة لدفنها بالبقيع، فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد، واستجاروا به إلى زوجها ليردّوه عما أراد، وقد دفنت فعلاً بالقاهرة كما سيأتى تفصيله، ولذلك كان المصريون يسمونها بنفيسة المصرية.

مولدها، ولماذا سميت باسم (نفيسة)؟

ولدت السيدة الطاهرة بمكة المكرمة، فى يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة النبوية، وقد فرحت أمها بمولدها، واستبشر بها أبوها، وعمّت الفرحة أكناف بيتها، وقد زاد فى سرور أبيها وبهجته، أن تكشف

في سيمائها شَبْهاً عظيماً بأخته عمتها السيدة نفيسة بنت زيد رضى الله عنها، وهى التى تزوج بها الخليفة الوليد بن عبد الملك، فاختار لها أبوها اسم عمتها لنفاستها، وما تبينه لبنته من وسام وقسام اختصت بهما أخته، وتفاؤلا بأن يكتب الله لها حظ عمتها، وما واتاها من سعادة ونعماء، وما لها من آثار وحظوة؛ إذ كانت محببة، ولها اليد البيضاء فى خلافة زوجها، إذ أنها دفعتة إلى ما قام به فى عهده، فقد فتحت فى عهده فتوح عظيمة، وكان يتكفل بالأيتام، ويرتب لهم معاشهم، ومن يرعاهم، ومن يقوم بخلمتهم، وللعميان من يقودهم، وعمر المسجد النبوى ووسعه ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء، وأسبغ عليهم، وحرّم الاستجداء، وفرض لذوى الحاجات ما يكفيهم، وقد ضبط أمور الخلافة أتم ضبط.

عمة السيدة نفيسة فى مصر:

ومن المصادفات الغريبة أن عمة السيدة نفيسة رضى الله عنها رحلت إلى مصر وتوفيت بها، ومقامها بالقرب من السيدة نفيسة؛ إذ أنها دفنت بالدار التى وهبت لها من والى مصر أخى زوجها عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وكانت من الصالحات، وقد توفيت قبل وفاة بنت أخيها.

والدها :

هو أبو محمد الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، فهي من دوحة النبوة التي طابت فرعاً، وزكت أصلاً، ومن شعبة الرسالة التي سمت رفعة ونبلا قد اكتنفها العز والشرف، ولازمها السؤدد والكرامة :

يا حبذا روضة في الخلد نابذة ما مثلها أبداً في الخلد من شجر المصطفى أصلها والفرع فاطمة ثم اللقاح عليّ سيد البشر والهاشميان سبطان لها ثمر والشعبة الورق الملفت بالثمر هذا مقال رسول الله جاء به أهل الرواية في العالي من الخبر إني بحبهم أرجو النجاة غداً والفوز في زمرة من أفضل الزمر وكان والدها إماماً عظيماً، وعالماً جليلاً من كبار أهل البيت معدوداً من التابعين، مجاب الدعوة فاضلاً شريفاً.

وفي سنة خمسين ومائة عزل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عامله، جعفر بن سليمان عن إمرة المدينة، وولاه الحسن بن زيد، وقد بقى والياً على المدينة إلى أن عزله المنصور لو شأية فيه سنة ست وخمسين ومائة، فإن الحسن كان قد اصطفى ابن أبي ذئب محمد ابن عبد الرحمن بن المغيرة، وآواه وأكرمه، لكنه لم يأمن فلتات لسانه، فإن ابن أبي ذئب

ذهب إلى المنصور وأخبره بأن الحسن يطمع في الخلافة، ويعمل على عودها للعلويين، فثارت ثائرة المنصور، وأمر بعزل الحسن وحجسه، وقد تسرع ابن أبي ذئب في وشايته، إذ أنه غلب على ظنه طمع آل البيت في الخلافة، وما يعرفه أنها حق لهم وهم أولى بها من غيرهم، مع أن الحسن كان معروفاً بمظاهرتة لبنى العباس، ومناصرته لدولتهم، وكان أول من لبس السواد شعار العباسيين من العلويين، وقد لبث الحسن في حبسه إلى أن ولى المهدي الخلافة، وكان يعرف منه علمه واعتداله، وزهادته وعبادته، فأمر بإخراجه من حبسه، وقربه منه واصطفاه.

وكان الحسن ذا حزم في ولايته، وعزم في إمرته، وشدة في أخذ الناس بالحدود وحرمانات الله، لا تأخذه رافة في دين الله، ولا تقفه رحمة عن إقامة حدوده.

ولما عاد إلى المدينة لم يعاتب ابن أبي ذئب.

ولما توفي أبوه زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو غلام، وترك عليه ديناً أربعة آلاف دينار، فحلف السيد حسن ألا يظل رأسه سقف إلا سقف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بيت رجل يكلمه في حاجة حتى يقضى دين أبيه، فوفى بنذره، ووفى دين أبيه.

ومن كرمه أنه أتى بشاب شارب متأدب وهو عامل على المدينة

فقال : (يا ابن رسول الله لا أعود)، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم» وأنا ابن أبى أمامة ابن سهل ابن حنيف، وقد كان أبى مع أبىك كما علمت، فقال : صدقت، هل أنت عائد، قال : لا والله، فأقاله وأمر له بخمسين ديناراً، وقال له : تزود بها وعد إلى، فتاب الشاب، فكان الحسن يحسن إليه، وكان الحسن والد السيدة نفيسة بحباب الدعوة، يقال : مرت به امرأة وهو فى الأبطح ومعها ولدها! فاختطفه عقاب، فسألت الحسن أن يدعو الله لها برده، فرفع يديه إلى السماء ودعا ربه، فإذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يضره بشيء، فأخذته أمه.

ودخل عليه بعض الشعراء فأنشده.

* الله فرد وابن زيد فرد *

فقال : بفيك الأئلب، ألا قلت :

* الله فرد وابن زيد عبد *

ونزل عن سرير الإمارة، وألصق خذّه بالأرض، يسبح الله العلى الكبير، وكان رضى الله عنه جليلاً جميلاً، سرياً، سخياً. وفيه يقول الشاعر :

إذا أمسى ابن زيد لى صديقاً فحسبى من مودته نصيبى

وقال آخر :

إلى حسن بن زيد بات نضوى يحب السهل وهنّا والأكاما
إلى رجل أبوه أبو المعالى وأول مؤمن صلى وصاما
أشتم أن أحبك يابن زيد وأن أهدى التحية والسلاما
وقد سلفت على له أباد تعيش الروح منها والعظاما
وكان هو المقدم من قریش ورأس العز منها والسناما
وخيرهم لجار أو لصهر بتسكين الكلالة والنماما
وكان أشدهم عقلا وحلما وأبرحهم إذا ازدحم الزحاما

وكان الحسن كثير الثراء، وله مال بالغابة، وقصره الحمراء كان من أعظم قصور المدينة، وقد أتاه مصعب بن ثابت الزبيري وابنه عبد الله وهو يريد الركوب إلى ماله بالغابة فأنشده مصعب :

يابن بنت النبي وابن على أنت أنت المجير من ذا الزمان
من زمان ألحّ ليس بناج منه من لا يجيره الخافقان
من ديون تنوعنا فادحات من يد الشيخ من بنى ثوبان
في صكاك مكتبات علينا بمئين إذا عددن ثمان
بابى أنت إن أخذن وأمى ضاق عيش النسوان والصبيان

فأرسل الحسن إلى ابن ثوبان فسأله فقال : على الشيخ سبعة وعلى ابنه مائة فقطى عنهما دينهما وأعطاهما مائتى دينار.

وقد خلف الحسن من الذكور تسعة ومن البنات اثنتين السيدة

أم كلثوم وقد تزوج بها أبو العباس السفاح الخليفة العباسي والسيدة نفيسة، ولم يبلغ واحد من أولاده من الشهرة وذويع الذكر ما بلغته ابنته السيدة نفيسة فهي درّته اليتيمة وغرّته الوضاعة.

وأولاده الذكور هم : القاسم ومحمد وعلى وإبراهيم وزيد وعبد الله ويحيى وإسماعيل وإسحاق، أما أمهم فأم سلمة واسمها زينب بنت الحسن عمه ابن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وتزوج أم كلثوم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

وقد توفي سنة ١٦٨ وهو في طريقه إلى الحج في صحبة أمير المؤمنين المهدي ودفن في الحجاز، وقيل بالحاجر، ويذكر الشعرا أنهُ مدفون بترته المشهورة قريبا من جامع القراء بين مجرة القلعة (العيون) وجامع عمرو بن العاص ويغلب على الظن أنه دفن بالحاجر في الطريق إلى مكة.

وروى أن الإمام زيد الأبلج والد السيد حسن الأنور، كان يأخذ بيد ولده الحسن ويدخل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : « يا سيدى يا رسول الله هذا ولدى الحسن أنا عنه راض »، ثم يرجع وينصرف، فلما كان في بعض الليالى نام فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو يقول له : « يا زيد إنى راض عن ولدك الحسن برضاك عنه، والحق سبحانه وتعالى راض عنه

برضاى عليه»، وجاء الحسن بالسيدة نفيسة إلى المدينة، وكان دائماً يأخذ بيدها ويدخل بها إلى القبر الشريف ويقول: «يا رسول الله إني راض عن بنتي نفيسة» ويرجع، فما زال يفعل حتى رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول: يا حسن إني راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها، والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضاى عنها^(١).

وزيد الأبلج هو ابن الحسن السبط بن سيدنا الإمام.

ويكفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يقول لسيدنا عليّ: «أذن مني يا عليّ، خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة».

من هذا الغصن غصن القرن الأول للهجرة، جاءت نفيسة إحدى أغصان رياحين القرن الثاني.

(١) وجد ما يدل على دفن السيد زيد الأبلج بالقاهرة قرباً من جامع القراء بين مجرة القلعة وجامع عمرو، في التربة المشهورة قرباً من جامع القراء، فقد وجد حجر عتيق شرق مقام ولده السيد حسن الأنور بقرب جامع عمرو بعد مجرة القلعة بقليل مرقوم عليه نسب زيد.

أما الإمام محمد الأنور عم السيدة نفيسة ففى المشهد القريب من عطفة جامع طولون مما بلى دار الخليفة في الزاوية التي ينزل إليها بدرج، وهو على يمين الطالب للسيدة سكينة ومكتوب على بابه في لوح رخام هذا البيت:

مسجد حل فيه نجل لسزيد ذلك الأنور الأجل عمم

أمها :

أما أمها فأم ولد، وأما إختها فأمهم أم سلمة زينب بنت الحسن ابن الحسن بن علي رضي الله عنهم، وليس ذلك بضائرها ولا ما ينقص من قدرها فقد تسمى الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر فولدت له إسماعيل عليه السلام، فكان من نسله صفوة خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وقد تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مارية القبطية فولدت إبراهيم عليه السلام، وقد كان أبوها الحسن من أم ولد، وكذا زيد بن علي رضي الله عنهما من أم ولد، وقد دخل على هشام بن عبد الملك، فقال له هشام : بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة، فقال له : أما قولك اني أحدث نفسي بالخلافة، فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى : وأما قولك اني ابن أمة فإسماعيل ابن أمة أخرج الله من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم وإسحاق ابن حرة أخرج من صلبه القردة والخنازير، فقال له : قم. فقال : إذن لا تراني إلا حيث تكبره. فلما خرج من الدار قال : ما أحب أحد الحياة إلا ذل : فقال سالم مولى هشام : بالله لا يسمعن هذا الكلام منك أحد، وقد كان زيد رضي الله عنه من أحسن بني هاشم عبادة وأجلهم سيادة، وكانت ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن امنع أهل الكوفة من حضور مجلس

زيد بن علي، فإن له لساناً أقطع من ظبة السيف، وأحد من شبا
الأسنة، وأبلغ من السحر والكهانة ومن النفث في العقد.

وقال الشعبي: والله ما ولدت النساء أفضل من زيد بن علي
ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد.

وقال أبو حنيفة: شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله،
فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين
قولا، لقد كان منقطع النظر وكان يدعى بحليف القرآن قرأ مرة
قوله تعالى: ﴿وإن تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا
أمثالكم﴾، فقال: إن هذا لوعيد وتهديد من الله تعالى، ثم قال:
اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بديلاً..

وقبل ذلك أعتق جدّه الحسين بن علي رضي الله عنهما جارية
له وتزوج بها، وقد كان لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما
بالمدينة من يكتب إليه بما يكون من أمور الناس وقريش خاصة،
فكتب إليه أن الحسين بن علي أعتق جارية له فتزوجها، فكتب
معاوية إلى الحسين: «من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن علي،
أما بعد فإنه بلغني أنك تزوجت بجارتك وتركت أكفأك من قريش
من تستحسنه للولد وتجد به في الصهر، فلا لنفسك نظرت
ولا لولدك انتقيت».

فكتب إليه الحسين رضى الله عنه :

أما بعد فلقد بلغنى كتابك وتعيرك إياى بأن تزوجت مولاتى وتركت أكفائى من قرىش، فليس فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم منتهى فى شرف ولا غاية فى نسب، وإنما كانت ملك يمينى خرجت عن يدى بأمر التمس فيه ثواب الله تعالى : ثم ارتفعتا على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، ووضع عنا به النقيصة فلا لوم على امرئ مسلم إلا فى أمر مائمه، وإنما اللوم لوم الجاهلية».

فلما قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد فقراه، وقال : لشدة ما فخر عليك الحسين. قال : لا ولكنها ألسنة بنى هاشم الحداد التى تفلق الصخر وتغرف من البحر، وقد بينت ذلك كله فى الفصول السابقة الخاصة بأهل البيت.

وقال الأصمعى : كان أكثر أهل المدينة يكرهون الإمام حتى نشأ فيهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله رضى الله عنهم، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وعلماً وورعاً، فرغب الناس فى السراى وأقبلوا على الزواج منهم، وقد تزوج على زين العابدين رضى الله عنه جارية له بعد أن أعتقها، فبلغ ذلك عبد الملك ابن مروان فكتب إليه يؤنبه على فعلته فكتب إليه على :

إن الله رفع بالإسلام الخسيسة وأتم به النقيصة وأكرم به من اللؤم.